

THE INDICATIONS OF THE ACCEPTANCE UTTERANCES IN THE HOLY QURAN

دَلَالَةُ أَلْفَاظِ الْقَبُولِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

محمد مصلح مهدي المحمدي^أ وعبد الكريم توري^ب وخير الأنوار بن محمد^ج^أ طالب الدكتوراه. كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية. ms_mo96@yahoo.com^ب محاضر بكلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية. karim.toure@usim.edu.my^ج محاضر بكلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية. khairul@usim.edu.my

| | |
|-----------------|--|
| Abstract | <p><i>This study aims to stand on the concepts of the linguistic and eloquent dimensions in the choosing of a word from the Holy Quran and analyzing it. This word is al-qabul i.e. the acceptance. Holy Quran pays much attention to these great meanings through the valid interpretations. The researcher depends in his study on analyzing approach since its special characteristics. This approach reveals the intellectual, linguistic, and eloquent dimensions and shows the desired objectives which assist the researcher to penetrate deeply into understanding the precise meanings and secrets of Holy Quran. The researcher analyzed patterns of the utterances of al-qabul the acceptance wherever they were in the Holy Quran based on the importance of the topic that this utterance is referred. The most important results are that the word al-qabul is repeated in the Holy Quran to twenty one times, this number is in terms of the third root of the word 'qabul' that is (ق-ب-ل) and its derivations which is in the same meaning such as taqabbal. The meanings on al-qabul have been divided into three main parts which are: (qabul al-tawbah) acceptance of repentance, (qabul al-^عamal) acceptance of the deeds, (qabul al-shafa^عah) acceptance of the intercession, (al-^عadl) justice and (al-fida^ع) sacrifice. Holy Quran paid much wonderful attention to the repentance and made acceptant conditions which are mentioned by the scholars: quit the guilt, regret to what have gone in terms of the bad doing, determine not to commit the bad deed again and if the guilt was related to the other people, their rights should be returned to them peacefully and safely.</i></p> <p>Keywords: Acceptance, Quran, repentance, intercession, deeds.</p> |
|-----------------|--|

| | |
|------------|---|
| ملخص البحث | <p>سَعَتْ هذه الدراسة إلى الوقوف على المفاهيم من الأبعاد اللغوية والبلاغية، في اختيار لفظة من ألفاظ القرآن الكريم، وتحليلها وهي لفظ "القبول"، فقد أولى القرآن الكريم عنايةً كبيرةً بما تهدف إليه هذه المعاني العظيمة من خلال التفاسير المعتمدة، وقد اعتمدَ الباحثُ في دراسته المنهج "التحليلي"، لما فيه من مزايا خاصة، فهو يكشفُ عن الأبعاد</p> |
|------------|---|

الفكرية، واللغوية، والبلاغية، وبيان الأهداف المرجوة، مما يزيد الدارس تعمقاً في فهم دقائق القرآن وأسراره. اجتهد الباحث في تحليل نماذج من ألفاظ "القبول" أينما وجدت من القرآن الكريم، وبحسب أهمية الموضوع الذي تُشير له اللفظة. ومن أهم النتائج التي خلصت إليها دراسة الباحث. أنه تكررت لفظة "القبول" في القرآن الكريم إلى إحدى وعشرين مرة، وهذا بالنسبة إلى الجذر الثلاثي "ق-ب-ل" وما تصرف منه، وهو بمعناه مثل تقبل، وانقسمت معاني القبول في القرآن الكريم، إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي: قبول التوبة، وقبول الأعمال، وقبول الشفاعة، والعدل، والفداء. اهتم القرآن بالتوبة بصور رائعة، وجعل لها شروط مقبولة، وهي التي ذكرها العلماء: الإقلاع عن الذنب، والتندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود إليه، وإذا كان الذنب من حقوق العباد فعليه أن يرد المظالم لأهلها.

الكلمات المفتاحية: القبول، القبول، التوبة، الشفاعة، الأعمال.

مقدمة

قد جعل الله سبحانه وتعالى كتابه معجزاً رسولاً عظيماً، والحجة الدائمة على الخلق، والنبراس للدعاة إلى يوم الدين، يستمدون من نبعه ألد الهدايات، ويقتبسون من نوره مشاعل الهداية، ويجدون في ثناياه البراهين السواطع كلما تراكمت ظلال الشبهات، وفي إرشاداته برد اليقين، كلما حاكت الوسوس في الصدور. وإنه من دواعي سرور الباحث وفخره أن يكون من طلاب القرآن، ومن يُسهم في خدمة هذه الشريعة العزراء في علومها الناصعة البهية، وهذا فضل من الله تعالى يمنة على من يشاء، بأن يوفق للبحث في هذا العلم الجليل "علم التفسير" العلم والعيش في رحاب القرآن وآياته، وتلاوتها تدبيراً، وتعلماً وفهماً، وإن هذا التدبر لا يأتي عن فراغ إلا بعد أن يقف من أراد الفهم الصحيح، عند كل كلمة، بل عند كل حرف؛ يطلع على أسراره وإعجازه وبلاغته ولغته وإعراجه ومعانيه. وإخراج المعاني المستفادة من آياته. جاءت أهمية الدراسة التحليلية".

والحقيقة أن هذه الطريقة في التفسير تعتمد على تناول الآيات ذات الموضوع الواحد والهدف الواحد، من الطرق المثلى، التي تُداع للناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية "فهي تمكن المفسر من علاج موضوعات عملية كثيرة كل موضوع منها قائم بنفسه لا يتصل بسواه، ولا يختلط بغيره، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون صلة القرآن بحياتهم الواقعية، كما في موضوعات القرآن وأصول التشريع، القرآن والعلم، القرآن والأسرة، القرآن وأسلوب الاجتماع، القرآن

والاقتصاد، القرآن والتضحية، والقرآن والبر وهكذا إلى آخر ما يمكن عرضه من موضوعات القرآن التي تُعتبر بحق عمداً قوية في بناء الأمة ونهضتها.

وعلى هذا الأساس تم تقسيم ورقة البحث إلى: مقدمة، وثلاث محاور، وخاتمة:

المحور الأول: قبول التوبة، وتشتمل على: تعريف التوبة، وشروطها من خلال آيات القرآن الكريم، وقبول الله تعالى للتوبة والعفو عن السيئات.

المحور الثاني: قبول أعمال الأنبياء عليهم السلام، وقبوله تعالى من عباده الصالحين.

المحور الثالث: في عدم قبول الشفاعة من الكفار، أو الشفاعة والعدل، وعدم قبول الفداء منهم، ولو كانت ملء الأرض ذهباً، أو ما في الأرض جميعاً.

المحور الأول: قبول التوبة، وتمهيد في تعريف التوبة وشروطها من خلال آيات القرآن الكريم، وقبول الله تعالى للتوبة والعفو عن السيئات

أولاً: التوبة لغةً: مصدر الفعل تاب، وأصل هذه المادة: التاء، والواو، والباء توب. وهي تدور حول معاني الرجوع، والعودة، والإنابة، والندم. قال ابن فارس: في [مادة: توب]: التاء، والواو، والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع. يقال: تاب من ذنبه: أي رجع عنه، يتوب إلى الله توبةً، ومتاباً فهو تائبٌ. والتوب: التوبة، قال الله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ﴾ (سورة غافر: 3).¹

وقال ابن منظور²: "وتاب إلى الله يتوب توباً، وتوبةً، ومتاباً: أناب، ورجع عن المعصية إلى الطاعة".³ والتوبة تكون من الله على العبد، ومن العبد إلى الله؛ فإذا كانت من الله عُذيت بعلى، وإذا كانت من العبد إلى الله عُذيت بإلى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء: 17).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِجُمُوحِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْتَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور: 31).

¹ ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. 357/1.

² ينظر ترجمته في: شذرات الذهب 26/6، وفوات الوفيات 496/4، والأعلام 329/7.

³ ابن منظور. لسان العرب. 233/1.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (سورة الفرقان: 71). قال ابن منظور: "وتاب الله عليه: وفقه لها، ورجل تواب: تائب إلى الله، والله تواب: يتوب على عبده".⁴ وقال: أصل تاب: عاد إلى الله، ورجع، وأتاب، وتاب الله عليه: أي عاد عليه بالمغفرة.⁵

ثانياً: تعريف التوبة في الاصطلاح: عُرِفَت التوبة إلى الله في الشرع بعدة تعريفات، والمدلول الشرعي للتوبة قريبٌ من المدلول اللغوي، فمما عُرِفَت به التوبة في الشرع ما يلي:

1. قال أبو حامد الغزالي⁶: "قيل في حدِّ التوبة أنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ".⁷ ثم علّق على هذا الحد فقال: فإنّ هذا يُعرض لمجرد الألم، ولذلك قيل: هو نارٌ في القلب تلتهب، وصدغٌ في الكبد.⁸
2. وقال: "وباعتبار معنى التَّرك قيل في حدِّ التوبة: إنه خلْع لباس الجفاء، ونشْرُ بساط الوفاء".⁹
3. وقال: "ومن معانيها: ¹⁰ ترك المعاصي في الحال، والعزم على تركها في الاستقبال، وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال".¹¹
4. وقال ابن القيم¹² في تعريف التوبة: "فحقيقة التوبة هي: الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على ألا يُعاوده في المستقبل".¹³
5. وقال أيضاً: "حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يجب، وترك ما يكره؛ فهي رجوعٌ من مكروه إلى محبوب؛ فالرجوع إلى المحبوب جزءٌ مُسماها، والرجوع عن المكروه الجزء الآخر".¹⁴
6. وقال: التوبة: "هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يُحبه ظاهراً وباطناً".¹⁵

⁴ ابن منظور. لسان العرب. 233/1.

⁵ المصدر نفسه.

⁶ ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية. 101/4، 180، والوافي بالوفيات. 277/1، والأعلام للزركلي. 247/7.

⁷ الغزالي. إحياء علوم الدين. 4/4.

⁸ المصدر نفسه. 5/4.

⁹ المصدر نفسه. 5/4.

¹⁰ يعني التوبة.

¹¹ الغزالي. إحياء علوم الدين. 5/4.

¹² ينظر ترجمته في: الدرر الكامنة 400/3، وجلاء العينين. ص 20، الأعلام. 281/6.

¹³ ابن القيم. مدارج السالكين. 199/1.

¹⁴ المصدر نفسه. 313/1.

¹⁵ المصدر نفسه. 314/1.

7. وقال ابن حجر¹⁶: والتَّوْبَةُ: "تركُ الذنبِ على أحد الأوجه".¹⁷ وفي الشَّرْع: تركُ الذنب؛ لقبه، والندمُ على فعله، والعزمُ على عدم العود، وردُّ المظلمة إن كانت، أو طلبُ البراءة من صاحبها، وهي أبلغُ وجوه الاعتذار".¹⁸

والذي يختاره الباحث في تعريف التَّوْبَةِ، بأنَّها: تركُ الذنبِ علماً بقبحه، وندماً على فعله، وعزماً على ألا يعودَ إليه إذا قدر، وتداركاً لما يمكن تداركه من الأعمال، وأداءً لما ضيع من الفرائض؛ إخلاصاً لله، ورجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه، وأن يكون ذلك قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها.

ومن خلال ما سبق يتبيَّن لنا أنَّ التوبة لا بدَّ أن يجتمع فيها الشروط التالية:

1. الإقلاع عن الذنب.
2. الندم على ما فات، والحد الأدنى من ذلك وجود أصل الندم، وأما قوة الندم وضعفه فبحسب قوة التوبة، وضعفها.
3. العلم بقبح الذنب.
4. العزم على ألا يعود.
5. تدارك ما يمكن تداركه من ردِّ المظالم ونحو ذلك.
6. أن تكون خالصة لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة: 5).
7. أن تكون قبل الغرغرة، لما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ).¹⁹ والغرغرة هي: حشرجة الروح في الصدر، والمراد بذلك الاحتضار عندما يرى الملائكة، ويبدأ به السياق في الموت.²⁰

¹⁶ ينظر ترجمته في: الضوء اللامع. 36/2، والبدر الطالع. 87/1، وشذرات الذهب. 270/7، ومعجم المؤلفين. 20/2.

¹⁷ العسقلاني. فتح الباري. 103/11.

¹⁸ المصدر نفسه. 106/11.

¹⁹ رواه أحمد. 153/2، 132/2، والترمذي 3537، وابن ماجه 4253، وأبو يعلى في مسنده. 462/9، 81/10، ومن طريقه ابن حبان في صحيحه 628، والحاكم. 286/4، وصححه، ووافقه الذهبي، وعبد بن حميد في مسنده كما في المنتخب من مسند عبد بن حميد 847، وابن الجعد في مسنده 3404، والطبراني في مسند الشاميين 194، والبغوي في شرح السنة 1306، وأبو نعيم في الحلية 190/5، كلهم من طريق عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن ابن عمر به.، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف فيه، إلا أن له شاهداً عن عبادة بن الصامت بسند منقطع عند القضاعي في مسند الشهاب 1085. وله شاهد آخر عند أحمد. 425/3، 362/5، والحاكم. 286/4.

²⁰ ينظر: ابن منظور. لسان العرب. 21/5.

8. أن تكونَ قبل طلوع الشمس من مغربها؛ لما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " (من تابَ قبل أن تطلعَ الشمسُ من مغربها تابَ اللهُ عليه) (رواه مسلم. باب التوبة. 2703).

فَضْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي فَتْحِ بَابِ التَّوْبَةِ

1. إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالتَّوْبَةِ: قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (سورة الزمر: 54). قال ابن كثير²¹ في تفسير هذه الآية الكريمة: أي ارجعوا إلى الله، واستسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النعمة.²²

2. أَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ مَهْمَا عَظُمَتِ الذُّنُوبُ: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ﴾ (سورة الشورى: 25). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء: 110).

وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: 145-146). وقال تعالى في شأن النصاري: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة: 74).

وقال تعالى: في حق أصحاب الأعداء الذين خدوا الأعداء لتعذيب المؤمنين وتحريقهم بالنار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ فِيهَا فِي الحَرِيقِ﴾ (سورة البروج: 10). قال الحسن البصري²³: انظروا إلى هذا الكرم والجود؛ قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.²⁴

3. أَنَّ اللَّهَ حَذَّرَ مِنَ القَنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر: 53).

قال ابن كثير: روي عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية الكريمة: قال: قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيزاً ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة، يقول الله تعالى لهؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة: 74).

²¹ ينظر ترجمته في: شذرات الذهب. 231/6، والنجوم الزاهرة. 123/11. ومعجم المؤلفين. 283/2. والبداية والنهاية. 125/12.

²² ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 61/4، 62.

²³ ينظر ترجمته في: تهذيب التهذيب. 242/2، 271. والأعلام للزركلي. 242/2.

²⁴ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 60/4.

ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولاً من هؤلاء؛ من قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (سورة النازعات: 24)، وقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلْيَ الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة القصص: 38).

قال ابن تيمية²⁵ في الآية الكريمة السابقة آية "الزمر": المقصودُ بها النهي عن القنوط من رحمة الله تعالى وإن عظمت الذنوب وكثرت، فلا يحلُّ لأحد أن يقنط من رحمة الله، ولا أن يقنط الناس من رحمته؛ لذا قال بعض السلف: وإنَّ الفقيه كل الفقيه الذي لا يجعل الناس يأسون من رحمة الله، ولا يجزؤهم على معاصي الله. والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له إما لكونه إذا تاب لا يقبل توبته ويغفر ذنوبه، وإما بأن يقول: نفسه لا تطاوعه على التوبة بل هو مغلوب معها، والشيطان قد استحوذ عليه؛ فهو ييأس من توبة نفسه وإن كان يعلم أنه إذا تاب غفر الله له، وهذا يغري كثيراً من الناس.²⁶

4. أن الله يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل: قال النبي: إنَّ الله عز وجل يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها (رواه مسلم 2759).

5. أن الله رتب الثواب الجزيل على التوبة: ووعد من تاب بالخير الكثير، وهذا ما سيتبين في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

فضائل التوبة

للتوبة فضائل جمّة، وأسرار بديعة، وفوائد متعددة، فمن ذلك ما يلي:²⁷

1. التوبة سبب للفلاح: قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور: 31). قال أبو السعود²⁸: "تفوزون بذلك بسعادة الدارين".²⁹

²⁵ ينظر ترجمته في: البداية والنهاية. 135/14. والدرر الكامنة. 144/1. الأعلام للزركلي. 140/1.

²⁶ ابن تيمية. التوبة والاستغفار. ت. محمد الحجاجي. وعبد الله بدران. ص 27، 28. وانظر: ابن تيمية. الاستقامة. 190/2.

²⁷ ينظر: ابن القيم. مدارج السالكين. 312 306/1. ومفتاح دار السعادة لابن القيم. 286/1، 299.

²⁸ ينظر ترجمته في: الفوائد البهية. ص 81، وشذرات الذهب. 398/8، والأعلام. 288/7. ومعجم المؤلفين. 301/11. والعقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم. مطبوع بhamash وفيات الأعيان. 282/2 وما بعدها.

وقال ابن كثير: "أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه".³⁰

قال ابن تيمية: فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا يتلذذ، ولا يسر، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يتلذذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، من حيث هو معبوده، ومحبوبه، ومطلوبه. وبذلك يحصل له الفرح، والسرور، واللذة، والنعمة، والسكون، والطمأنينة.³¹

2. بالتوبة تكفر السيئات: فإذا تاب العبد توبة نصوحاً كفر الله بها جميع ذنوبه وخطاياها. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر: 53).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التحريم: 8).

3. بالتوبة تبدل السيئات حسنات: فإذا حسنت التوبة بدّل الله سيئات صاحبها حسنات، وذلك فضل من الله، وتكرم. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة الفرقان: 70). قال ابن القيم في هذه الآية الكريمة: وهذا من أعظم البشارة للتائبين إذا اقترن بتوبتهم إيماناً وعملٌ صالح، وهو حقيقة التوبة.³² وقال أيضاً: واختلفوا في صفة هذا التبديل، وهل هو في الدنيا أو في الآخرة؟ على قولين: فقال ابن عباس رضي الله عنه وأصحابه هو تبديلهم بقبائح أعمالهم محاسنها، فبدلهم بالشرك إيماناً، وبالزنا عفة وإحصاناً، وبالكذب صدقاً، وبالحيانة أمانة.

فعلى هذا معنى الآية الكريمة: أنّ صفاتهم القبيحة، وأعمالهم السيئة بدّلوا عوضها صفات جميلة، وأعمالاً صالحة، كما يبدل المريض بالمرض صحة، والمبتلى ببلائه عافية. وقال سعيد بن المسيب³³ وغيره من التابعين: هو تبديل الله سيئاتهم التي عملوها بحسنات يوم القيامة، فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة.³⁴

²⁹ أبي السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. 171/6.

³⁰ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 276/3.

³¹ ابن تيمية. الفتاوى الكبرى. 189، 188/5.

³² ابن القيم. مدارج السالكين. 310/1.

³³ ينظر ترجمته في: طبقات ابن سعد. 88/5. صفة الصفوة. 44/2، الأعلام للزركلي. 155/3.

³⁴ ابن القيم. مدارج السالكين. 310/1.

ثم قال ابن القيم: بعد أن تكلم على القولين السابقين: إذا علم هذا فروال موجب الذنب وأثره تارة يكون بالتوبة النصوح وهي أقوى الأسباب، وتارة يكون باستيفاء الحق منه وتطهيره في النار؛ فإذا تطهر بالنار وزال أثر الوسخ والخبث عنه أعطي مكان كل سيئة حسنة، فإذا تطهر بالتوبة النصوح وزال عنه بها أثر وسخ الذنوب وخبثها كان أولى بأن يعطى مكان كل سيئة حسنة؛ لأن إزالة التوبة لهذا الوسخ والخبث أعظم من إزالة النار، وأحب إلى الله. وإزالة النار بدل منها، وهي الأصل؛ فهي أولى بالتبديل مما بعد الدخول.

وقال: التائب قد بدل كل سيئة بدمه عليها حسنة؛ إذ هو توبة تلك السيئة، والندم توبة، والتوبة من كل ذنب حسنة؛ فصار كل ذنب عمله زائلاً بالتوبة التي حلت محله وهي حسنة؛ فصار له مكان كل سيئة حسنة بهذا الاعتبار؛ فتأمل؛ فإنه من أطف الوجوه. وعلى هذا فقد تكون هذه الحسنة مساوية في القدر لتلك السيئة، وهذا من أسرار التوبة ولطائفها.³⁵

4. التوبة سبب للمتاع الحسن: قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (سورة هود: 3).

5. التوبة سبب لنزول الأمطار، وزيادة القوة، والإمداد بالأموال والبنين: قال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُرِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُرْمِينَ﴾ (سورة هود: 52).

وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (سورة نوح: 10-12).

6. أن الله يحب التوبة والتوابين: فعبودية التوبة من أحب العبوديات إلى الله وأكرمها؛ فإنه سبحانه يحب التوابين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (سورة البقرة: 222). قال ابن القيم: ولو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه؛ فلمحبته لتوبة عبده ابتلاه بالذنب الذي يوجب وقوع محبوه من التوبة وزيادة محبته لعبده؛ فإن للتائبين عنده محبة خاصة.³⁶

7. أن الله يفرح بتوبة التائبين: فالتوبة عنده عز وجل منزلة ليست لغيرها من الطاعات؛ ولهذا يفرح سبحانه بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يُقدَّر كما مثله النبي صلى الله عليه وسلم بفرح الواجد لراحته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض الدويّة المهلكة بعدما فقدتها وأيس من أسباب الحياة.

³⁵ ابن القيم. مدارج السالكين. 311/1.

³⁶ ابن القيم. مدارج السالكين. 306/1.

قال: لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومةً، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله. قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومةً، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده.³⁷

قال ابن القيم: تعليقاً على هذا الحديث: ولم يجئ هذا الفرغ في شيء من الطاعات سوى التوبة، ومعلوم أن لهذا الفرغ تأثيراً عظيماً في حال التائب وقلبه، ومزيده لا يُعبر عنه. وهو من أسرار تقدير الذنوب على العباد؛ فإن العبد ينال بالتوبة درجة المحبوبة، فيصير حبيباً لله؛ فإن الله يحب التوابين، ويحب العبد المفئ التواب.³⁸

8. التوبة توجب للتائب آثاراً عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدون التوبة: فتوجب له المحبة، والرفقة، واللطف، وشكر الله، وحده، والرضا عنه؛ فرتب له على ذلك أنواع من النعم لا يهتدي العبد لتفاصيلها، بل لا يزال يتقلب في بركتها وآثارها ما لم ينقضها أو يفسدها.

9. حصول الدُّل والانكسار لله: ففي التوبة من الذل، والانكسار، والخضوع، والتذلل لله ما هو أحب إلى الله من كثير من الأعمال الظاهرة وإن زادت في القدر والكمية على عبودية التوبة فالذل والانكسار روح العبودية، ولبُّها. وحصول ذلك للتائب أكمل له من غيره؛ فإنه قد شارك من لم يذنب في ذل الفقر والعبودية والمحبة، وامتاز عنه بانكسار قلبه. وقد جاء في الأثر عن بني إسرائيل: يا رب أين أجدك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.³⁹ ولأجل هذا كان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد،⁴⁰ لأنه مقام ذل وانكسار بين يدي ربه.

المحور الثاني: نموذج من قبول أعمال الأنبياء عليهم السلام، ومن عباده الصالحين

بيّن القرآن الكريم أنّ الله تعالى يقبل الأعمال الصالحة من عباده الصالحين، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام خيرٌ مثالي على هذا. فقد قال تعالى في سورة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: 127).

³⁷ رواه البخاري. 6308، ومسلم. 2744.

³⁸ ابن القيم. مدارج السالكين. 306/1، وانظر: كلاماً جميلاً في المدارج. 226/1، 230 حول معنى فرح الله عز وجل بتوبة التائب.

³⁹ ذكره ابن القيم في مدارج السالكين. 306/1، وأورده في إغاثة اللفهان. ص 97. عن عمران ابن موسى القصير قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أين أبغيك؟ قال: أبغيني عند المنكسرة قلوبهم، فإني أدنو منهم كل يوم باعاً، ولولا ذلك لأهدموا. ورواه ابن أبي الدنيا في: الهم والحزن. ص 56 بإسناده عن عبد الله بن شوذب قال: قال داود النبي: أي رب! أين ألقاك؟ قال: تلقاني عند المنكسرة قلوبهم.

⁴⁰ أخرجه مسلم صحيحه. 482.

اللغة والغريب والوجوه والنظائر:

﴿الْقَوَاعِدَ﴾ واحدها قاعدة، وهي ما يقوم عليه البناء من الأساس أو من طبقات البناء، فالقواعد: هي الأساس. ⁴¹ ورفعها: إعلاء البناء عليها. ⁴²

المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى العرب بما أنعم عليهم من فضائل البيت الحرام، أردف ذلك بتذكيرهم بأنّ الذي بنى البيت هو أبوهم إبراهيم مع ابنه إسماعيل، ليحذبهم بذلك إلى الاقتداء بسلفهم الصالح الذي ينتمون إليه، وقد كانت قريش تنتسب إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وتدعي أنّها على ملة إبراهيم، وسائر العرب في ذلك تبع لقريش. ⁴³

الإعراب:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أي يقولان: ربنا تقبل منا، فحذف «يقولان» وحذف القول كثير في كتاب الله وكلام العرب. ⁴⁴ فتكون جملة ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ مفعولا به على إضمار القول، وقد يكون ذلك القول حالا، والتقدير: قائلين. وجملة ﴿تَقَبَّلْ﴾ جواب النداء مستأنفة، وكذا جملة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّيِّعُ الْعَلِيمُ﴾ فهي مستأنفة في حيز القول، و﴿أَنْتَ﴾ توكيد للكاف في "إِنَّكَ". ⁴⁵

البلاغة:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ عبر بالمضارع عن الماضي، لاستحضار الصورة الماضية وكأنها مشاهدة بالعيان، فكأن السامع ينظر ويرى إلى البنيان وهو يرتفع، وإلى البناء وهو إبراهيم وإسماعيل. ⁴⁶

الأحكام الشرعية التي تضمنتها الآية

في هذه الأدعية تعليم لنا أن نطلب في ختام أعمالنا قبولها، وأن ندعو بصلاح أنفسنا وذريتنا ليستمر الإسلام في كل زمان، ويظهر الانقياد والخضوع لخالق السماء والأرض، والله تعالى جعل المناسك ومواقف الحج أمكنة للتخلص من الذنوب وطلب الرحمة من الله، والله كريم رحيم. وقد أجاب الله دعاء إبراهيم

⁴¹ ينظر: ابن منظور. لسان العرب. 227/1. والشنقيطي. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. 44/1.

⁴² ينظر: السيوطي. الدر المنثور. 265/1. ابن عادل الحنبلي. اللباب في علوم الكتاب. 19/7. الراغب الأصفهاني.

المفردات في غريب القرآن. 65/1.

⁴³ ينظر: البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. 240/1.

⁴⁴ ينظر: الزجاج. إعراب القرآن. 25/1.

⁴⁵ ينظر: مكّي بن أبي طالب. مشكل إعراب القرآن. 20/1، والنحاس. إعراب القرآن. 262/1.

⁴⁶ ينظر: الشحود. علي بن نايف. الخلاصة في علوم البلاغة. 17/1، الزمخشري. أساس البلاغة. 140/1.

وابنه إسماعيل عليهما السلام، فأرسل خاتم النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا من العرب،⁴⁷ قال صلى الله عليه وسلم: (أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورؤيا أُمِّي).⁴⁸

وأكرم الله أمة العرب، فجعلها بالإسلام خير الأمم، وكان لها السيادة والمجد والسلطة في المشارق والمغرب، حيناً من الزمان، وكان منها ومن المسلمين غير العرب رجال هم مفخرة التاريخ في العدل والسياسة والقضاء والعلم والفكر والأدب والحضارة.

بناء الكعبة المشرفة

لقد افتتحت الآية الكريمة بناء الكعبة الشريفة بعملية رفع القواعد من البيت، ولنا أن نسأل ما الرفع أولاً؟ هو الصعود والإعلاء، فكل بناء له طول وله عرض وله ارتفاع، ومادامت مهمة إبراهيم هي رفع القواعد فكأن هناك طولاً وعرضاً للبيت وإن إبراهيم سيحدد البعد الثالث وهو الارتفاع. إن البيت كان موجوداً قبل إبراهيم، ثم جاء الطوفان الذي غمر الأرض في عهد نوح عليه السلام فأخفى معالمه، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يظهره ويبين مكانه للناس. والكعبة ليست هي البيت ولكنها هي المكين الذي يدلنا على مكان البيت. إذن فالذين فهموا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ بمعنى أن إبراهيم هو الذي بنى البيت. نقول لهم إن البيت كان موجوداً قبل إبراهيم وأن مهمة إبراهيم اقتصر على رفع القواعد لإظهار مكان البيت للناس. ودليلنا على ذلك أنه الآن وقد ارتفع البناء حول الكعبة. من يصلي على السطح لا يسجد للكعبة ولكنه يسجد لله تعالى الذي أمره أن يسجد لحو الكعبة. ومن يصلي في الدور الأسفل يصلي أيضاً للكعبة لأن المكان غير المكين.⁴⁹

ولعل أكبر دليل على ذلك من القرآن الكريم أن إبراهيم حين أخذ هاجر وابنها إسماعيل وتركهما في بيت الله الحرام ولم يكن قد بنى الكعبة في ذلك الوقت. ذكر البيت وقرأ قول الحق تبارك وتعالى في دعاء إبراهيم وهو يترك هاجر وطفلهما الرضيع: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (سورة إبراهيم: 37).

يعني أن البيت كان موجوداً وإسماعيل طفل رضيع. ولكن القواعد من البيت قد أقيمت بعد أن أصبح إسماعيل شاباً يافعاً يستطيع أن يعاون أباه في بناء الكعبة. إذن فمكان بيت الله الحرام كان موجوداً قبل أن يبني إبراهيم عليه السلام الكعبة. ولكن مكان البيت لم يكن ظاهراً للناس، ولذلك بيّن الله سبحانه

⁴⁷ ينظر: الزحيلي. التفسير المنير. 12/4.

⁴⁸ الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين برقم 3566/2 453. باب تفسير سورة الأحزاب. وقال عنه:

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعلق عليه الذهبي في التلخيص: فقال: صحيح.

⁴⁹ الشعراوي. تفسير الشعراوي. 353/1.

وتعالى لإبراهيم مكان البيت حتى يضع له العلامة التي تدل الناس عليه. وقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (سورة الحج: 26).

وقوله تعالى: ﴿طَهَّرْنَا بَيْتِي﴾ دليل على أن البيت زالت معالمه تماماً وأصبح مثل سائر الأرض، فأمر الله سبحانه وتعالى أن يُطَهَّر هو وإسماعيل البيت من كل هذا الدَّنَس، ويجعله مكاناً لثلاث طوائف: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ فالطائف هو الذي يطوف. ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ هم المقيمون ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ هم المصلون فتنظيف البيت للطواف به والإقامة والصلاة فيه. وهو مطهر أيضاً لأنه سيكون قبلة للمسلمين لكل راعٍ أو ساجد في الأرض حتى قيام الساعة.⁵⁰

المعنى العام

وذكر يا محمد لقومك وقت أن بنى إبراهيم وابنه إسماعيل قواعد البيت وأساسه، والفضيلة في كون البنائين نبيين، وفي تخصيصه للعبادة وسط بلاد وثنية، لا في أفضلية أحجاره ولا موقعه ولا بأنه نزل من السماء.⁵¹ وجعل التوجه إليه توجهاً إلى الله الذي لا يحده مكان ولا تحصره جهة، وعدَّ استلام الحجر الأسود تعبدياً كاستقبال الكعبة في الصلاة، فلا مزية له في ذاته، بل هو كسائر الأحجار بدليل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند استلامه: «أما والله، إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبّلتك، ثم دنا فقبّله».⁵²

وفي أثناء إقامة البناء يدعو إبراهيم وإسماعيل قائلين: ربنا إنك أنت السميع لدعائنا، العليم بنياتنا في جميع أعمالنا، ربنا واجعلنا منقادين لك، ومخلصين في الاعتقاد فلا نتوجه إلا إليك، ولا نستعين بأحد إلا بك، وفي العمل بألا نقصد بعملنا إلا مرضاتك. ربنا واجعل من ذريتنا جماعة مخلصين لك، منقادين لأوامرك، ليستمر الإسلام دائماً في الأجيال. ربنا بصّرنا وعرفنا أمور عبادتنا ومواقع نسكنها، أي أعمال الحج، كمواقيت الإحرام، وموضع الوقوف بعرفة، وموضع الطواف والسعي، واقتل توبتنا، إنك أنت التواب الرحيم، أي: كثير التوبة على عبادك بقبولها منهم، الرحيم بالتائبين لإنجائهم من العذاب.⁵³

⁵⁰ الشعراوي. تفسير الشعراوي. 354/1. والزحيلي. التفسير المنير. 315/1.

⁵¹ ينظر: البغوي. معالم التنزيل. 149/1. الألوسي. روح المعاني. 20/2.

⁵² الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم 1494 15/6 باب ما ذكر في الحجر الأسود.

⁵³ ينظر: البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. 165/1، والثعالبي. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. 70/1.

والحازن. لباب التأويل في معاني التنزيل. 98/1، والرازي. التفسير الكبير. 347/2.

وهذا منهما إرشاد لذريتهما، وطلب للتثبيت والدوام على الطاعة، لا أهما كان لهما ذنب، لأنّ الأنبياء معصومون، وليبينوا للناس بعد معرفة المناسك وبناء البيت أنّ ذلك الموقف وتلك المواضع، مكان التطهر من الذنوب وطلب التوبة.⁵⁴

ربنا وأرسل في الأمة رسولا منهم، ليكون أشفق عليهم، ويكونوا أعزّ الناس به، وأقرب لإجابة دعوته، وقد عرفوه معرفة تامة، ولمسوا منه الصدق والأمانة والعفة والاستقامة، ونحو ذلك، يقرأ عليهم آيات دينك المشتملة على إثبات وحدانية الله، وعلى الإقناع بالبعث والجزاء، ويعلمهم القرآن وأسرار الشريعة ومقاصدها، وما تكمل به نفوسهم من العلوم والمعارف، ويظهرهم من دنس الشرك والوثنية وأنواع المعاصي، ويعلمهم صالح الأخلاق، إنك أنت القوي الذي لا يغلب، الحكيم في كل صنع، فلا تفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، قال مالك: والحكمة: المعرفة بالدين، والفقّه بالتأويل، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى.⁵⁵

المحور الثالث: نموذج من عدم قبول الشفاعة من الكفار، أو الشفاعة والعدل، وعدم الفداء منهم أيضاً ولو كانت ملء الأرض ذهباً، أو ما في الأرض جميعاً
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: 91).
اللغة والغريب والوجوه والنظائر ﴿ناصِرِينَ﴾ مانعين.⁵⁶

مناسبة الآية لما قبلها

لما رَغِبَ تعالى في التوبة رَهَبَ من التواني عنها فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بالله وأوامره. ولما كان الكفر لفظاعته وقبحه وشناعته جديراً بالنفرة عنه والبعد منه نبه سبحانه وتعالى على ذلك باستبعاد إيقاعه، فكيف بالتمادي عليه فكيف بالازدياد منه وعبر عن ذلك بأداة التراخي فقال تعالى: ﴿تُمْ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بأن تمادوا على ذلك ولم يبادروا بالتوبة ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ أي إن تابوا، لأنّ الله سبحانه وتعالى يطبع على قلوبهم فلا يتوبون توبة نصوحاً يدومون عليها ويصلحون ما فسد، أو لن توجد منهم توبة حتى يترتب عليها القبول لانهم زادوا عن أهل القسم الأول بالتمادي، ولم يأت بالفداء الدالة على أنّه مسبب عما قبله

⁵⁴ ينظر: السعدي. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان. 66/1.

⁵⁵ ينظر: الطبري. جامع البيان في تأويل آي القرآن. 57/3، والماوردي. النكت والعيون. 190/1.

⁵⁶ ينظر: الشنقيطي. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. 202/1. والأندلسي. البحر الحيط. 113/2. النحاس. معاني القرآن. 437/1.

إعلاماً بأن ذلك إنما هو لأنهم مطبوع على قلوبهم، مهيؤون للكفر من أصل الجبلة، فلا يتوبون أبداً توبة صيحة، فالعلة الحقيقية الطبع لا الذنب.⁵⁷

القراءات القرآنية

قرأ ورش⁵⁸ من طريق الأصبهاني وابن وردان بخلفه عنهما بنقل حركة همز ﴿مَلْءٌ﴾ إلى اللام، وعن المطوعي ﴿وَلَوْ افْتَدَى﴾ بضم الواو.⁵⁹

الإعراب:

﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ جملة اسمية في موضع نصب على الحال من ضمير ﴿وَمَا تَأْتُوا﴾.⁶⁰
﴿ذَهَبًا﴾ تمييز منصوب.⁶¹

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ما: نافية، ومن: زائدة، وناصيرين: مبتدأ، وهم: خبره، والجملة الاسمية حال من ضمير لهم الأول. ودخلت الفاء في خبر إن فلن يُقبل لشبه الذين بالشرط، وإيدانا بتسبب الكفر لعدم القبول.⁶²

البلاغة:

﴿الَيْمُ﴾ مؤلم، وهو صيغة فعيل للمبالغة، وفيه معنى الإيذاء الذي هو ضد التلذذ والتمتع لتكون العقوبة والجزاء بضد الجريمة والمعصية.⁶³

الأحكام الشرعية التي تضمنتها الآية

صنفت الآيات الكفار إلى أصناف ثلاثة بحسب بقائهم على الكفر وقبولهم الإيمان، وهو تصنيف صريح واقعي:

فمن كفر بعد إسلامه، وكان ظالماً مقيماً على الظلم لا يهديه الله ما دام مقيماً على كفره وظلمه، ولا يقبل على الإسلام، وله جزاء شديد هو استحقاق غضب الله وسخطه، والخلود في نار جهنم، دون

⁵⁷ البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. 123/2.

⁵⁸ هو: عثمان بن سعيد بن عدي المصري: من كبار القراء. غلب عليه لقب "ورش" لشدة بياضه. أصله من القيروان، ومولده ووفاته بمصر سنة 197هـ. ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي. 205/4.

⁵⁹ الدمياطي. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. 227/1.

⁶⁰ ينظر: النحاس. إعراب القرآن. 99/3.

⁶¹ ينظر: المصدر نفسه. 394/1.

⁶² ينظر: مكي بن أبي طالب. مشكل إعراب القرآن. 61/1.

⁶³ ينظر: محمود توفيق. شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية. 56/1.

تخفيف لشيء من العذاب، ولا تأجيل له لمعذرة ما. فأما إذا أسلم هؤلاء وتابوا، وأصلحوا ما أفسدوا، فباب المغفرة والرحمة مفتوح لهم. وهذا الباب مفتوح أيضا بالأولى لمن كان مسلما عاصيا ثم تاب وأصلح وأخلص عمله لله.⁶⁴

ولن تقبل التوبة من الكفار الذين كفروا بعد إيمانهم، وبقوا مقيمين على الكفر، وسماها الله تعالى توبة غير مقبولة لأنه لم يصح منهم عزم عليها، والله عز وجل يقبل التوبة كلها إذا صح العزم وصدقت الإرادة.⁶⁵

كما لا تقبل توبتهم إذا عزموا عليها عند الموت، كما قال عز وجل: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة النساء: 18). ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه وغيرهم عن ابن عمر: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر).⁶⁶

ومن مات كافرا فلن يقبل منه خير أبدا، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهباً فيما يراه قربة، ولن ينفعه بعد موته بديل ولا فداء مهما كثرت، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (سورة البقرة: 123). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة البقرة: 254). وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة: 36).

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك) (رواه البخاري 6057 ومسلم 5019).

المعنى العام

كيف يهدي الله قوما كاليهود والنصارى الذين كفروا بعد إيمانهم وشهادتهم أن الرسول حق، وأرشدتهم الآيات الواضحات من القرآن والكتب السابقة وسائر المعجزات الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته؟!

⁶⁴ ينظر: السمرقندي. بحر العلوم. 290/1، وابن أبي حاتم. تفسير القرآن العظيم. 81/3.

⁶⁵ ينظر: ابن أبي حاتم. تفسير القرآن العظيم. 72/2، الألوسي. روح المعاني. 124/3، الأندلسي. البحر المحيظ. 314/3.

⁶⁶ الحديث في المستدرک علی الصحیحین: برقم 7695 286/4. وسنن ابن ماجه: برقم 4243: 304/12. وسنن الترمذی: برقم 3460، 445/11.

هذا استبعاد لهداية هؤلاء وتيسير للنبي صلى الله عليه وسلم، كما قال البيضاوي، فمن سنن الله تعالى في هداية البشر إلى الحق أن يقيم لهم الدلائل والبيانات، مع إزالة الموانع من النظر فيها على النحو المؤدي إلى المطلوب، وقد مكنهم الله من هذا كله، وآمنوا به ثم كفروا.⁶⁷

والله لا يهدي أولئك الظالمين لأنفسهم لأنهم عرفوا الحق وحادوا عنه، وتركوا دلائل النبوة، وهداية العقل. فجزاؤهم استحقاق غضب الله وسخطه والطرده من رحمته، وسخط الملائكة والناس، وصب اللعنات عليهم، والدعاء عليهم بالطرده من رحمة الله في الدنيا، وكذا في الآخرة،⁶⁸ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (سورة العنكبوت: 25).

وهم خالدون أبدا في اللعنة أو في النار لأن مستحق اللعنة جزاؤه النار، ولا يخفف عنهم العذاب ساعة واحدة، ولا يؤجلون لعذر يعتذرون به. ثم استثنى الله تعالى التائبين، فمن تاب من هؤلاء عن ذنبه، وترك الكفر، ورجع إلى الله، وأصلح قلبه وعمله، وندم على ما فعل، فإن الله غفور لما تقدم منه، رحيم بعباده كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الشورى: 25). هذا هو **الصنف الأول**: من الكفار وهم التائبون.

والصنف الثاني: فهم أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وشهدوا قبل بعثته أنه حق، ثم كفروا به بعد البعث، ثم ازدادوا كفرا بالإصرار والعناد، ومقاومة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحاربة المؤمنين، فهؤلاء لن تقبل توبتهم ما داموا على الكفر، ثم ماتوا وهم كفار، وأولئك هم الواقعون في الضلال، المحطون سبيل الحق والنجاة، الذين تمكن الكفر في قلوبهم.⁶⁹

والآية تشير إلى أن الكفر يزداد قوة واستقرارا، وتمكنا في القلب بعمل ما يقتضيه ويقويه وينمي، من طريق القيام بأعمال تنافي الإيمان، وتدعم الكفر وأهله. وكذلك الإيمان يزداد وينقص بعمل الصالحات أو بالإنقاص منها، كما قال تعالى في الحاليين: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدَاهُ إِيْمَانًا فَآمَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (سورة التوبة: 124-125).

والتوبة سبيل التزكية والتطهير والإصلاح، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس: 9-10). فمن أهمل إصلاح نفسه خسر، ومن حاول الإصلاح نجح، فإذا تراكمت المساوي، وأهملت تزكية النفس، وتدنس بالمعاصي الكثيرة، صعب في العادة الرجوع إلى جادة الاستقامة. وهذا ما أشارت إليه آيات التوبة: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ

⁶⁷ ينظر: البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. 366/1.

⁶⁸ ينظر: الشنقيطي. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. 202/1.

⁶⁹ ينظر: الجزائري. أيسر التفاسير. 183/1.

أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿سورة النساء: 18﴾.

والصنف الثالث: فهم الذين يموتون وهم كفار، فهؤلاء لن يقبل منهم الفداء، ولو كان ملء الأرض ذهباً، ولو افتدى به في الآخرة، لا يقبل منه، على افتراض أنه يملكه، ويريد استخدامه وسيلة النجاة، ولهم عذاب أليم أي عقاب مؤلم، وليس لهم ناصر ولا شفيع يمنع عنهم العذاب، أو يخففه،⁷⁰ كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الحديد: 15).

الخاتمة

جرت عادة الباحثين في ختام كل بحث أن يلخص أهم النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته:

1. تكرر ذكر القبول في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، وهذا بالنسبة إلى الجذر الثلاثي "ق-ب-ل" وما تصرف منه وهو بمعناه مثل تقبل، وليس ما تصرف منه وليس بمعناه، مثل "أقبل" و"تقابل".
2. انقسم القبول في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: قبول التوبة، وقبول الأعمال، وقبول الشفاعة والعدل والفداء.
3. من شروط التوبة المقبولة التي ذكرها العلماء: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فات، والعزم على أن يعود إليه، وإذا كان الذنب من حقوق العباد فعليه أن يرد المظالم.
4. أن الحسد كان سبب أول جريمة قتل في البشر، وأنه هو أسّ المفسد والمعائب والرذائل في المجتمع، فالأمة المتحاسبة متمزقة متعادية متباغضة، لا تجتمع على خير، ولا تلتقي على فضيلة، ولا تتعاون على برّ وصلاح وتقدم، مما يؤدي إلى الضعف والذل والهوان وعبودية أفرادها لمن سواهم. وكان الحسد سبب عدم قبول العمل.
5. إن الله تعالى يقرّر أنّ كل دين غير الإسلام باطل، وأنّ من يطلب ديناً غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه بحال ويخسر في الآخرة خسراً كبيراً.
6. إن القرآن الكريم حضّ على برّ الوالدين وحسن معاملتهما، وبين أنّ البر سبب قبول الأعمال.
7. إنّ أفعال الكافر الخيرية كصلة القرابة وإغاثة الملهوف قد تفيده في الدنيا بدفع ضرر أو سوء، ولكن لا يثاب عليها، ولا ينتفع بها في الآخرة.

⁷⁰ ينظر: الأندلسي. البحر الحيط. 324/3. ابن عجيبة. البحر المديد. 306/1. ابن عاشور. التحرير والتنوير.

149/3. والزخشي. الكشف. 24/2. ابن عادل. اللباب في علوم الكتاب. 209/4.

8. أرشد القرآن الكريم إلى وجوب حد القاذف ثمانين جلدة، إذا عجز عن إثبات تهمته بأربعة شهود، وإلى الحكم برد شهادته، وصبرورته فاسقا، إلا إذا تاب فتقبل شهادته وترتفع صفة الفسق عنه في رأي الجمهور، وتزول عنه صفة الفسق فقط بالتوبة في مذهب الحنفية، ويظل مردود الشهادة أبداً وإن تاب.

فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم، أن يكتب لهذا البحث المتواضع القبول، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب.

المصادر والمراجع

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس. 1403. الاستقامة. تحقيق: د. محمد رشاد سالم. المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود. ط 1.
- ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. ت. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. مكتبة ابن تيمية. ط 2.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت. قدم له حسنين محمد مخلوف. بيروت: دار المعرفة.
- ابن عادل، للإمام ابن عادل الحنبلي ت: 808هـ. اللباب في علوم الكتاب.
- ابن عاشور، محمد الطاهر عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الإدريسي الشاذلي أبو العباس. 1423هـ 2002م، البحر المديد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط 2.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. 1413هـ / 1993م. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ت. عبد السلام عبد الشافي محمد. لبنان: دار الكتب العلمية. ط 1.
- ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. 1420هـ / 1999م. معجم مقاييس اللغة. ت. عبد السلام محمد هارون. بيروت: لبنان. دار النشر: دار الجليل. الطبعة: الثانية.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء. 1401هـ. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري. لسان العرب. بيروت: دار النشر: دار صادر. الطبعة. الأولى.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. ت. محمد سيد كيلاي. لبنان: دار المعرفة.

- الآلوسي، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. 1422هـ / 2001م. البحر المحيط. ت. الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق 1 د. زكريا عبد المجيد النوقي 2 د. أحمد النجولي الجمل. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.
- البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ت. محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. 1407 / 1987. الجامع الصحيح المختصر. ت. د. مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير. اليمامة. الطبعة الثالثة.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت: 855هـ. 1415هـ / 1995م. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ت. عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
- البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار الفكر.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر. 1410هـ / 1989م. السنن الصغرى. ت. د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي. المدينة المنورة: مكتبة الدار. الطبعة الأولى.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي. 1414هـ / 1994م. سنن البيهقي الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي. الجامع الصحيح سنن الترمذي. ت. أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. 1422هـ / 2002م. الكشف والبيان. ت. الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي. بيروت: لبنان. دار إحياء التراث العربي. ط 1.
- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري. 1424هـ / 2003م. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. 1393 / 1973. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ت. محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتاب العربي. ط 2.
- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل. ت: 741هـ.

- الدار قطني، علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي. 1386هـ / 1966م. سنن الدار قطني. ت. السيد عبد الله هاشم يماني المدني. بيروت: دار المعرفة.
- الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني. 1419هـ / 1998م. تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تحقيق: أنس مهرة. لبنان: دار الكتب العلمية. ط 2.
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي. تذكرة الحفاظ. بيروت: دار الكتب العلمية. ط 1.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي. 1421هـ / 2000م. مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلمية. ط 1.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. ت. مجموعة من المحققين. دار النشر: دار الهداية.
- الزجاج، 1408هـ. معاني القرآن وإعرابه. ت. عبد الجليل عبده شلي. بيروت: عالم الكتب.
- الزحيلي، للدكتور وهبة الزحيلي. 1991م. التفسير المنير. دمشق: دار الفكر. ط 1.
- الزركلي، خير الدين الزركلي. 1986م. الأعلام. بيروت: الطبعة السابعة. دار العلم للملايين.
- الزخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزخشري الخوارزمي. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ت. عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الزخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزخشري. 1399هـ / 1979م. أساس البلاغة. دار الفكر.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي. 1421هـ / 2000م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ت. ابن عثيمين. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي. 1422هـ / 2001م، بحر العلوم. ت. د. محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل. لباب النقول في أسباب النزول. بيروت: دار إحياء العلوم.
- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي. 1993. الدر المنثور. بيروت: دار الفكر.
- الشحود، علي بن نايف الشحود. الخلاصة في علوم البلاغة، إعداد الباحث في القرآن والسنة.
- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. تفسير الشعراوي المنتخب من تفسير القرآن الكريم. بيروت: دار العودة. ط 1.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الحكني الشنقيطي. 1415هـ / 1995م. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ت. مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
- الشيبياني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني. مسند الإمام أحمد بن حنبل. مصر: مؤسسة قرطبة.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي. 1420هـ / 2000م. الوافي بالوفيات. ت. أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. 1404هـ / 1983م. المعجم الكبير. ت. حمدي بن عبد المجيد السلفي. الموصل: مكتبة الزهراء. الطبعة: الثانية.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر. 1405. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر.
- العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. 1392هـ / 1972م. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ت. محمد عبد المعيد ضان. الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية. ط 2.
- العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري. التبيان في إعراب القرآن. تحقيق: علي محمد البجاوي. عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- علي الجارم، ومصطفى أمين. 1954م. البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع. مصر: القاهرة. دار المعارف.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد العمادي. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الغزالي، محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. بيروت: دار النشر: دار المعرفة.
- القيسي، مكّي بن أبي طالب القيسي أبو محمد. 1405هـ. مشكل إعراب القرآن. ت. د. حاتم صالح الضامن. بيروت: دار النشر: مؤسسة الرسالة. ط 2.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري. النكت والعيون. ت. السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
- النحاس، 1409. معاني القرآن الكريم. ت. محمد علي الصابوني. مكة المكرمة: جامعة أم القرى. ط 1.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس. 1409هـ / 1988م. إعراب القرآن. تحقيق: د. زهير غازي زاهد. بيروت: عالم الكتب. ط 3.
- النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. 1411هـ / 1990م. المستدرك على الصحيحين. ت. مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ط 1.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. صحيح مسلم. ت. محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت 468هـ / 1388هـ / 1968م. أسباب النزول. القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

الواحدى، علي بن أحمد الواحدى أبو الحسن. 1415هـ. الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز. ت. صفوان عدنان داوودى. بيروت: دمشق. دار النشر: دار القلم، الدار الشامىة. ط 1.

BIBLIOGRAPHY

- Ahmad bin Hanbal. N.d. *Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal*. Mesir: Mu'assasah Qurtubah.
- Al-°Akbariyy, Abu al-Baqā °Abdullah bin al-Husayn bin °Abdullah. N.d. *al-Tibyan fi °rab al-Qur'an*. N.p: °Isa al-Babi al-Halabiyy wa Shurakahu.
- °Aliyy al-Jarim & Mustafa Amin. 1954. *Al-Balaghat al-Wadihah al-Bayan al-Ma°ani al-Bad°*. Cairo: Dar al-Ma°arif.
- Al-Alusiyy, Shihab al-Din al-Sayyid Mahmud. N.d. *Ruh al-Ma°aniyy fi Tafsir al-Quran Wa al-Sab° al-Mathaniyy*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-°Arabiyy.
- Al-Andalusiyy, Muhammad bin Yusuf. 2001. *Al-Bahr al-Muhit*. Beirut: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Al-Asfahaniyy, Abu al-Qasim al-Husayn bin Muhammad. N.d. *al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an*. Labenon: Dar al-Ma°rifah.
- al-°Asqalaniyy, Ahmad bin °Aliyy bin Hajar. N.d. *Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhariyy*. Beirut: Dar al-Ma°rifah.
- Al-Asqalaniyy, Shihab al-Din Abu al-Fadl Ahmad bin °Aliyy bin Muhammad. 1972. *Al-Durar al-Kaminah fi A°yan al-Mi°at al-Thaminah*. India: Majlis Da°irat al-Ma°arif al-°Uthmaniyyah.
- Al-Baydawiyy. N.d. *Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta°wil*. Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Bayhaqiyy, Ahmad bin al-Husayn bin °Aliyy. 1989. *Al-Sunan al-Sughra*. Madinah: Maktabat al-Dar.
- Al-Bayhaqiyy, Ahmad bin al-Husayn bin °Aliyy. 1994. *Sunan Al-Bayhaqiyy*. Mekah: Maktabah Dar al-Baz.
- Al-Bukhariyy, Muhammad bin Isma°il. 1987. *Al-Jami° al-Sahih al-Mukhtasar*. Beirut: Dar Ibn Kathir.
- Al-Buqa°iyy, Burhan al-Din Abu al-Hasan Ibrahim bin °Umar. 1995. *Nuzum al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar*. Beirut: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Al-Dhahabiyy, Abu °Abdillah Shams al-Din Muhammad. N.d. *Tadhkirat al-Huffaz*. Beirut: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Al-Darqutniyy, °Aliyy bin °Umar. 1966. *Sunan Al-Darqutniyy*. Beirut: Dar al-Ma°rifah.
- Al-Dumyatiyy, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad bin °Abd al-Ghaniyy. 1998. *Ittihaf Fudala' al-Bashar fi al-Qira°at al-Arba°ah °Ashar*. Labenon: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Al-Ghazaliyy, Muhammad bin Muhammad. N.d. *Ihya' °Ulum al-Din*. Beirut: Dar al-Ma°rifah.
- Ibn °Adil. N.d. *al-Lubab fi °Ulum al-Kitab*. N.p: npb.
- Ibn °Ajibah, Ahmad bin Muhammad bin al-Mahdiyy. 2002. *Al-Bahr al-Madid*. Beirut: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Ibn °Ashur, Muhammad al-Tahir. 1984. *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. N.p: al-Dar al-Tunisiyyah li al-Nashr.
- Ibn °Atiyyah, Abu Muhammad °Abd al-Haqq bin Ghalib al-Andalusiyy. 1993. *Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-°Aziz*. Labenon: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Ibn Faris Abu al-Husayn Ahmad. 1999. *Mu°jam Maqayis al-Lughah*. Beirut: Dar al-Jayl.
- Ibn Kathir, Isma°il bin °Umar. 1401H. *Tafsir al-Qur'an al-°Azim*. Beirut: Dar al-Fikr.
- Ibn Manzur, Muhammad bin Mukarram. N.d. *Lisan al-°Arab*. Beirut: Dar Sadir.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad bin °Abd al-Halim. 1403H. *al-Istqamah*. Madinah: Jami°at al-Imam Muhammad bin Sa°ud.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad bin °Abd al-Halim. N.d. *Kutub wa Rasa'il wa Fatawa Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah*. N.p: Maktabah Ibn Taymiyyah.

- Ibn Taymiyyah, Ahmad bin °Abd al-Halim. N.d. *al-Fatawa al-Kubra li Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah*. Beirut: Dar al-Ma°rifah.
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr. 1973. *Madarij al-Salikin Bayna Manazil Iyyaka Na°budu wa Iyyaka Nasta°in*. Beirut: Dar al-Kitab al-°Arabiyy.
- Al-°Imadiyy, Abu al-Sa°ud Muhammad bin Muhammad. N.d. *Irshad al-°Aql al-Salim Ila Mazaya al-Qur°an al-Karim*. Beirut: Dar Ihya° al-Turath al-°Arabiyy.
- Al-Jaza°iriy, Jabir bin Musa bin °Abd al-Qadir. 2003. *Aysar al-Tafasir li Kalam al-°Aliyy al-Kabir*. Madinah: Maktabat al-°Ulum wa al-Hikam.
- Al-Khazin. N.d. *Lubab al-Ta°wil fi Ma°ani al-Tanzil*. N.p: npb.
- Al-Mawardiyy, Abu al-Hasan °Aliyy bin Muhammad bin Habib. N.d *al-Nukat wa al-°Uyun*. Beirut: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Muslim bin al-Hajjaj. N.d. *Sahih Muslim*. Beirut: Dar Ihya° al-Turath al-°Arabiyy.
- Al-Naysaburiyy, Muhammad bin °Abdillah. 1990. *Al-Mustadrak °Ala al-Sahihayn*. Beirut: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Al-Naysaburiyy, Abu al-Hasan °Aliyy bin Ahmad al-Wahidiyy. 1968. *Asbab al-Nuzul*. Cairo: Mu°assasat al-Halabiyy wa Shurakahu li al-Nashr wa al-Tawzi°.
- Al-Nuhas. 1409H. *Ma°ani al-Qur°an al-Karim*. Mekah: Jami°ah Umm al-Qura.
- Al-Nuhas, Abu Ja°far Ahmad bin Muhammad bin Isma°il. 1988. *°rab al-Qur°an*. Beirut: °Alam al-Kutub.
- Al-Qisiyy, Makkiyy bin Abi Talib. 1405H. *Mushkal °rab al-Qur°an*. Beirut: Mu°assasat al-Risalah.
- Al-Raziyy, Fakr al-Din Muhammad bin °Umar. 2002. *Mafatih al-Ghayb*. Beirut: Dar al-Kutub al-°Ilmiyyah.
- Al-Sa°diyy, °Abd al-Rahman bin Nasir. 2000. *Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan*. Beirut: Mu°assasat al-Risalah.
- Al-Safadiyy, Salah al-Din Khalil bin Abik. 2000. *Al-Wafiyy bi al-Wafiyyat*. Beirut: Dar Ihya° al-Turath.
- Al-Samarqandiyy, Nasr bin Muhammad bin Ahmad. 2001. *Bahr al-°Ulum*. Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Suyutiyy, °Abd al-Rahman bin Abi Bakr bin Muhammad. N.d. *Lubab al-Nuqul fi Asbab al-Nuzul*. Beirut: Dar Ihya° al-°Ulum.
- Al-Suyutiyy, °Abd al-Rahman bin al-Kamal. 1993. *Al-Durr al-Manthur*. Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Sha°rawiyy, Muhammad Mutawalli. N.d. *Tafsir Al-Sha°rawiyy al-Muntakhab Min Tafsir al-Qur°an al-Karim*. Beirut: Dar al-°Awdah.
- Al-Shanqitiyy, Muhammad al-Amin bin Muhammad bin al-Mukhtar. 1995. *Adwa° al-Bayan fi Idah al-Qur°an bi al-Qur°an*. Beirut: Dar al-Fikr li al-Tiba°ah wa al-Nashr.
- Al-Syuhud, °Aliyy bin Nayf. N.d. *al-Khulasah fi °Ulum al-Balaghah*. N.p: n.pb.
- Al-Tabariyy, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Khalid. 1405H. *Jami° al-Bayan °an Ta°wil Ayi al-Qur°an*. Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Tabraniyy, Sulayman bin Ahmad bin Ayyub. 1983. *Al-Mu°jam al-Kabir*. Mosul: Maktabat al-Zahra°.
- Al-Tha°alabiyy, °Abd al-Rahman bin Muhammad bin Makhlu°f. N.d. *al-Jawahir al-Hisan fi Tafsir al-Qur°an*. Beirut: Mu°assasat al-Aclamiyy li al-Matbu°at.
- Al-Tha°labiyy, Abu Ishaq Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim. 2002. *Al-Kahsf wa al-Bayan*. Beirut: Dar Ihya° al-Turath al-°Arabiyy.
- Al-Tirmidhiyy, Muhammad bin °Isa. N.d. *al-Jami° al-Sahih Sunan Al-Tirmidhiyy*. Beirut: Dar Ihya° al-Turath al-°Arabiyy.
- Al-Wahidiyy, °Aliyy bin Ahmad. 1415H. *al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-°Aziz*. Beirut: Dar al-Qalam.
- Al-Zabidiyy, Muhammad Murtada al-Husayniyy. N.d. *Taj al-°Arus Min Jawahir al-Qamus*. N.p: Dar al-Hidayah.
- Al-Zamakhshariyy, Abu al-Qasim Mahmud bin °Umar. N.d. *al-Kashshaf °an Haqa°iq al-Tanzil wa °Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta°wil*. Beirut: Dar Ihya° al-Turath al-°Arabiyy.

- Al-Zamakhshariyy, Abu al-Qasim Mahmud bin °Umar. 1979. *Asas al-Balaghah*. N.p: Dar al-Fikr.
- Al-Zarkaliyy. 1986. *Al-A°lam*. Beirut: Dar al-°Ilm li al-Malayin.
- Al-Zujaj. 1408H. *Ma°ani al-Qur'an wa l°rabuhu*. Beirut: °Alam al-Kutub.
- Al-Zuhayliyy, Wahbah. 1991. *Al-Tafsir al-Munir*. Dimashq: Dar al-Fikr.

إنكار

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. "القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية" لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.